عندما يصبح الاتصال مصدر قلق للأسرة

د. أروى علي عبد الله أخضر
متخصصة في تعليم وتأهيل الأشخاص ذوي الاعاقة
دكتوراه الفلسفة في الإدارة التربوية

يُعد التواصل بين المدرسة وأولياء الأمور عاملاً محورياً في نجاح العملية التعليمية، وركيزة من ركائزها، ومع ذلك، فإن كثيراً من أسر ذوي الإعاقة تشعر بالقلق كلما تلقت اتصالاً من المدرسة إذ أصبح الاتصال في نظرهم مرادفاً للشكوى لا للتعاون، إنها شراكة مشروطة بالخوف، وغالباً ما يُنظر إلى هذا التواصل على أنه وسيلة لإيصال الملاحظات السلبية أو المشكلات السلوكية. وقد ترسخت هذه الصورة النمطية لدى العديد من الأسر - مع الأسف - بذلك، مما يجعل بعضهم يشعر بالقلق في كل مرة يتلقى فيها اتصالًا من المدرسة. وعندما تنحصر مكالمات المدرسة في سرد المشكلات، تفقد الأسرة إحساسها بالشراكة.

تشير الأدبيات التربوية إلى أن إحداث تغيير بسيط، وهو زيادة نسبة الرسائل أو الأخبار الإيجابية الموجهة إلى أولياء الأمور حول إنجازات أبنائهم الصغيرة التي تستحق الثناء، له أثر كبير على نفوس الأسر وفي ثقتهم بالمدرسة.

فالتواصل الإيجابي مع أولياء الأمور يصنع فرقاً حقيقياً في حياة الطالب ذي الإعاقة وأسرته، فالتغذية الراجعة الإيجابية لا تقتصر على ولي الأمر فحسب، بل تمتد آثارها إلى الطالب نفسه. فعندما يخبره والده أن المدرسة اتصلت لتشيد بجهوده، يشعر الطالب بالفخر والانتماء، ويزداد دافعه الداخلي للاستمرار في السلوك الجيد أو التحصيل العالي. إنها وسيلة فعّالة لتعزيز السلوك المرغوب دون الحاجة إلى العقوبات أو التوبيخ.

وحينما يشعر ولي الأمر بأن المدرسة ترى ابنه كما يراه هو، طفلاً يمتلك نقاط قوة وفرصاً للتحسن تتحول كل مكالمة من مصدر توتر إلى جسر من المحبة، والثقة، والتقدير، والانتماء.

إن تبني ثقافة "الاتصال الإيجابي" لا يعني تجاهل المشكلات، بل يعني إعادة التوازن في طبيعة الرسائل التي تصل إلى الأسرة. فإذا كانت ٧٠٪ من الاتصالات تدور حول ما هو إيجابي، فإن ال ٣٠٪ المخصصة للملاحظات الأخرى ستكون أكثر قبولًا وفاعلية.

وتشير الدراسات التربوية الحديثة إلى أن المدارس التي تعتمد ثقافة "الاتصال الإيجابي" كجزء من ثقافتها تحقق مستويات أعلى من رضا أولياء الأمور، وانخفاضًا في المشكلات السلوكية لدى

الطلاب، حيث تُظهر الاتصـــالات المنتظمة بين المعلمين والأســـر أثراً واضـــحاً في زيادة الانخراط الدراسي (مثل أداء الواجبات، وارتفاع معدلات المشاركة داخل الفصل).
وتبدأ الشراكة الحقيقية عندما تُدرك المدرسة أن الكلمة الطيبة تشجع أكثر مما تفعل الملاحظات المتكررة، وأن على الطرفين أن يحافظا على روح الشـــراكة ليس وقت الأزمات فقط، بل أيضًـــا في لحظات النجـاح، لجعـل أوليـاء الأمور أكثر تعـاونًـا وانخراطًـا في دعم تعلم أبنـائهم. مع ضـــرورة المحافظة على الصدق والواقعية، فالإطراء غير الحقيقي يفقد أثره التربوي.

ولتطبيق سـياسـة "الاتصـال الإيجابي" في العلاقة بين الأسـرة والمدرسـة، يمكن تخصـيص وقت للتواصـل مع أسـر ذوي الإعاقة لنقل الأخبار الإيجابية عن أبنائهم مثل (إنجاز، سـلوك نموذجي، تحسّن)، وتوثيق هذه الأخبار الإيجابية سواء كانت أكاديمية أو سلوكية أو اجتماعية، مع الحرص على تنويع الوسائل المستخدمة، كالمكالمات الهاتفية القصيرة، والرسائل النصية، وبطاقات الشكر الإلكترونية بما يتناســـب مع كل موقف. ومن المهم تجنّب الإطراء المبالغ فيه أو غير الواقعي؛ لأنه يقلل من مصداقية التواصل.
ويمكن للمدارس رصـد أثر "الاتصـال الإيجابي" من خلال مؤشـرات بسـيطة مثل: نسـبة الرسـائل الإيجابية إلى السـلبية، أو انخفاض معدلات شـكاوى أولياء الأمور، وارتفاع مسـتوى رضـاهم عن المدرسة.

منصة التربية الخاصة